**موقف المستشرقين من وحدانية الله تعالى وأسمائه وصفاته "**

**ـ دراسة تحليلية نقدية ـ**

1) موقفهم من وحدانية الله:

تتلخص أقوال المستشرقين المناوئين للإسلام عن وحدانية الله تعالى فيما يلي:

* مونتي مقري واط : يزعم أن الإسلام بعقيدته عبارة عن إبداع إنساني و نتاج بيئة من حيث الزمان و المكان.
* موقف دائرة المعارف الإسلامية: كتب المستشرق "ماك دونال" مقالا في هذه الدائرة العلمية بعنوان " الله الكائن الأعلى عند المسلمين " : مما لا شك فيه أن العرب قبل محمد قالوا بوجود الله على نحو ما سموه " الله " و كانوا يعترفون بالله و يقسمون به جهد أيمانهم وليس من السهل دائما أن نميز بين أرائهم و بين تفسير محمد لهذا الرأي و قد اعتبروا بعض الآلهة " الملائكة بنات الله ".
* المستشرق واط: ولد في سنة 1906 ـ 2006، يعلن أن محمدا في عقيدته تأثر بالتقاليد العربية الشركية في الجاهلية واستدل على ذلك بقصة "الغرانيق" التي ذكرها الطبري دون طعن فيها لا يزعم أن الإسلام قد احتوى على هذه الشركيات و قبلها.
* المستشرق "كارل بروكولمان" :

لقد تابع المستشرق ما قاله سلفه "واط " حين زعم هو الآخر بقوله: " إنه على ما يظهر أن محمدا اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاثة: اللات، العزى، المنات التي كان مواطنون يعتبرونها بنات الله و قد أشار إليها في إحدى الآيات الممحاة و هي ما نصها: " تلك الغرانيق العليا و إن شفاعتهن لتترجى ".

* موقف غولدزيهر:

يزعم هذا المستشرق أن العقيدة الإسلامية قد تطورت عبر عدة مراحل وأخدت من عدة روافد كاليهودية و الهندوسية و غيرهما... و أن الإسلام قد استطاع أن يمتص هذه الآراء الأجنبية و يتمثلها و كأنها جزء أصيل من تعاليمه.

* موقف فينسك:

يزعم هذا المستشرق ان مفهوم المسلمون للإله يلتقي في نقاط عديدة مع وصف " يوحنا الدمشقي"، و شرحه للذات الإلهية " لأن محمدا انتخب تعاليمه عن أديان سابقة و منها النصرانية "

* خلاصة آراء المستشرقين السابقين على عقيدة وحدانية الله:

ـ أن العقيدة الإسلامية نتاج البيئة العربية.

ـ أن العقيدة الإسلامية متأثرة باليهودية والنصرانية.

ـ أن العقيدة الإسلامية أخدت من روافد أجنبية كالهندوسية.

ـ أن محمدا صلى الله عليه وسلم اعترف بآلهة العرب في الجاهلية.

ـ أن العقيدة الإسلامية حوّرت عقائد القدماء كلها وأظهرتها بشكل آخر.

**2) موقفهم من أسماء الله وصفاته:**

استخدم المستشرقون المنهج نفسه في دراستهم للعقيدة الإسلامية على موضوع أسماء الله وصفاته

وهذه خلاصة شبهاتهم:

* موقف دائرة المعارف الإسلامية:

تزعم هذه الدائرة بالقول إن لوازم السجع حملت محمدا على وصف الله بعدة صفات يتردد ذكرها في القرآن وهي تعبر عن حقيقة إله محمد لكنها عبارات مبعثرة و متناثرة...

أما أسماء الله فتبدو في أول وهلة خليطا غريبا من الألفاظ الدالة على التجسيم والعبارات الميتافزيقية..

ـ كما تزعم هذه الدائرة في مقال آخر أن النبي محمد قد اختلق هذه الصفات من خياله، أو أنها قد اقتبسها من النصرانية من ذلك أن محمدا بفضل ذكائه وصف الله بأوصاف واضحة معينة مثل: الأول و الآخر و الظاهر و الباطن وهو في هذا شبيه بشعراء العرب... !

ـ أما الصفات التي لها أصل نصراني فيزعمون أن أمثلتها صفة: البَر واسم النور، و هي بحسب زعمهم تشير إلى عبادة النصارى في كنائسهم و أديرتهم و هي مأخوذة من صورة المذبح المضاء و مأخوذة من النصوص التي وردت في الإنجيل " نور العلم، نور الأنوار".

ـ أما صفة الباري فقد أخدها محمد من العبرية.

ومن جهة ثالثة تزعم هذه الدار أيضا أن هناك تناقض بين هذه الصفات التي أطلقها محمد على الذات الإلهية مثل المعز، المذل، القابض، الباسط، المقدم والمؤخر كما تزعم هذه الدائرة أن محمدا أطلق صفات الذم على الله تعالى حيث أنها لا تقبل حتى بالنسبة للمخلوقات مثل المتكبر والجبار...!

4 ـ كما ذكر المستشرق نكلسون أن هذه الصفات التي قال بها محمد جعلت إلاه الإسلام جبّارا متخوفا لا تُكن له القلوب إلى الوجل والاستسلام بخلاف النصرانية فهو رحيم أرسل ولده الوحيد لينتحر على الصليب ومن تم فإن صلة المسلمون بربهم قوامها وطابعها العبودية.

**نقد الموقف الاستشراقي من الأسماء والصفات:**

خلاصة النقد نتناوله من الجوانب الآتية:

أ ـ نقد المنهج:

إن المنهج الذي استخدمه المستشرقون في دراسة عقيدة التوحيد والصفات هو منهج مغلوط وهو منهج لا صلة له بها فهو منهج علماء الاجتماع في دراسة الظواهر المتعلقة بمعتقدات الوثنية في إفريقيا وعليه فهو لا يصح تطبيقه كليا أو جزئيا على الأديان السماوية وخاصة الإسلام.

ب ـ نقد المستشرقين من حيث النتائج التي خلصوا إليها:

ويمكن حصر هذه النتائج التي خلصوا إليها فيما يلي:

**1 ـ القول أن عقيدة المسلمين من البيئة العربية:**

1ـ1ـ لم يثبت على الإطلاق سواءا في الروايات أو كتب التاريخ أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في صباه أو بلوغه أنه قد سجد أو ركع أمام حجر أو وثن أو اعتقد بشمس أو قمر أو رفع بيديه لغير الله.

1ـ2ـ فساد الدليل القائم على إيراد قصة الغرانيق، والغرانيق هي الطير البيض واحدها غرنوق، وفي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان المشركون يطلقون هذا الاسم على أصنام زعما منهم أن هذه الأصنام ترتفع إلى الله تعالى كالطير فتشفع عنده لعابدها، و قديما زعم المشركون أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذه الغرانيق (الأصنام) في بعض قرءانه بخير.

وقد استند المستشرقون على صحة هذا القول السابق على ما ذكره بعض المفسرين كالطبري دون أن يعلق عليها و ذلك عند تفسيره لقوله تعالى (و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيّته فينسَخ الله ما يلقي الشيطان ثم يُحكم الله ءاياته و الله عليم حكيم) [الحج: 50].

وقد ذهب أكثر علماء الحديث والتفسير قديما وحديثا إلى إثبات فساد نسبتها زورا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الشيطان أوحى إلى أوليائه من المشركين بها.

من ذلك ما قاله ابن كثير في رد هذه القصة أن هذه الرواية جاءت كلها من طريق مرسلة ولم يرد أنها مسندة من وجه صحيح وقد تابعه في ذلك الإمام الشوكاني.

وخلاصة هذه المسألة أن هذه الرواية ليست صحيحة بل هي أقرب للكذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**2ـ نقد القول أن عقيدة المسلمين من البيئة اليهودية:**

يتحمل إثم هذه الفرية كثير من المستشرقين و على رأسهم " قولدزيهر اليهودي و فينسك" فقد زعموا أن العقيدة الإسلامية تطورت عبر عدة مراحل و أخدت من عدة روافد منها اليهودية و زعمهم أن مفهوم المسلمين للإله يلتقي في عدة نقاط مع وصف يوحنا الدمشقي في وصفه للذات الإلهية، فهل هذا صحيح؟

* لم يعرف عن العقيدة الإسلامية أنها تطورت فمند أول يوم بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم أعلن عن مضمون هذه العقيدة " قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" و أنه صلى الله عليه و سلم في وصفه لله تعالى يقرأ على أمته (ليس كمثله شيء و هو السميع البصير) كما يقرأ على أمته (لا تأخذه سنة و لا نوم) ، بينما نجد في العهد القديم تُصور الذات الإلهية على أنها ذات تتعب وترهق، من ذلك ما جاء في سفر التكوين، الإصحاح 1، الفقرة 31: " و كان صباح يوم سادس كَمُلت السماوات و الأرض و فرغ الله في اليوم السابع و قدّسه لأنه استراح من جميع عمله الذي عَمِل" و اقرأ إلى حواره قوله تعالى في القرآن الكريم: ( ولقد خلقنا السماوات و الأرض و ما بينهما في ستة أيامً و ما مسّنا من لغوب).

غير أن قولدزيهر يصر على قوله الأول ويزعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم حذف ذلك فلم يخبرنا بأنه استراح.

ـ كما يصف التلموذ " الرب" قائلا: " حينما يغضب الرب يفعل أفعالا لا قيمة لها ولا وزن " بينما تخبر العقيدة الإسلامية يأن الله عليم، حليم، حكيم، أن كل شيء عنده بمقدار.

ـ كما يصور اليهود الرب سبحانه كسلان، ينام كثيرا ـ تعالى الله عما يقولون ـ فاستبقها الرب كنائم جبار.

نخلص مما تقدم إلى أن الناظر في كتب اليهود وأسفارهم وتلموذهم وفي وصفهم للذات الإلهية أنها ذات لبني إسرائيل فقط بخلاف ما جاء في العقيدة الإسلامية بأن الله خالق كل البشر و أن له ذات متعالية و هذا مما يدل على اختلاف كبير بين اعتقاد اليهود في الله و عقيدة المسلمين.

و يتحمل فرية هذه الشبهة المستشرق فينسك و يرد عليه وعلى أمثاله أنه لا يوجد دليل واحد يؤكد صحة هذه الفرية، و لعل أن من أهم ما يرد به عليه هو قول أحد المستشرقين أنفسهم الذين تحولوا إلى الإسلام و نعني به المستشرق "ناجي راموني" الذي قال عن وصفه للعقيدة الإسلامية: " لم يكن لي خيار من المقارنة بين توحيد الله في التصور القرآني و بين إعتقادي في الثالوث المسيحي فوجدت أن المبدأ الأخير أدنى بكثير من المبدأ الإسلامي و من هنا بدأت أفقد الثقة في الديانة المسيحية على إعتبار أن الإيمان بالله هو أول و أهم مبدأ في أي دين من الأديان فإذا كان إيماني به خاطئا فمعنى ذلك أن كل نشاط آخر يصبح عبثا لا جدوى منه و لا معنى..."

كما يرد على هذه الشبهة برد آخر المستشرق اسمه بيجي رودبك الذي قال " لم يمض وقت طويل حتى أيقنت أن هذا الدين ـ الإسلام ـ هو الدين الحق بالمقارنة بكافة الأديان الأخرى أيقنت أن الإعتقاد الإسلامي بوحدانية الله أقرب إلى العقل والمنطق من مبدأ التثليث إذ أن فطرتي استساغت الإيمان بالله الواحد".

في هذه الأقوال وغيرها رد حاسم على فينسك وغيره الذي يزعم على أن مفهوم الإله عند المسلمين يلتقي مع شرح يوحنا الدمشقي.

**4 ـ الرد على القول في الصفات الإلهية:**

إن الإعداء على أن محمدا صلى الله عليه وسلم وصف الله بعدة صفات هي عبارات مبعثرة و متناقضة و أنه تحت حتمية السجع نطق بها ( كما يزعم المستشرقون )، فهذا كلام مردود و متهافت و باطل بدليل أن أهل قريش كانوا أعلم الناس بقواعد السجع وقد عجزوا بأن يأتوا بمثل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما قاله الوليد بن المغيرة حينما سمع النبي صلى اله عليه وسلم آيات من القرآن الكريم فيما وصف لله و ذكر لأسمائه قال: " و الله إنّ له لحلاوة و إن عليه لطلاوة و إن أعلاه لمثير و إن أسفله لمغدق و إنه ليُعلى و لا يغلى عليه ".

أما قوله أنّها مبعثرة فهو كلام غير صائب ذلك أن المؤمن يعتقد بها اعتقادا صحيحا تحت إطار مبدأ قوله تعالى: ( ليس كمثله شيء و هو السميع البصير)، و لو كان كلام المستشرق فينسك لجادلته قريش في أنه يتكلم بكلام لا يفهم .